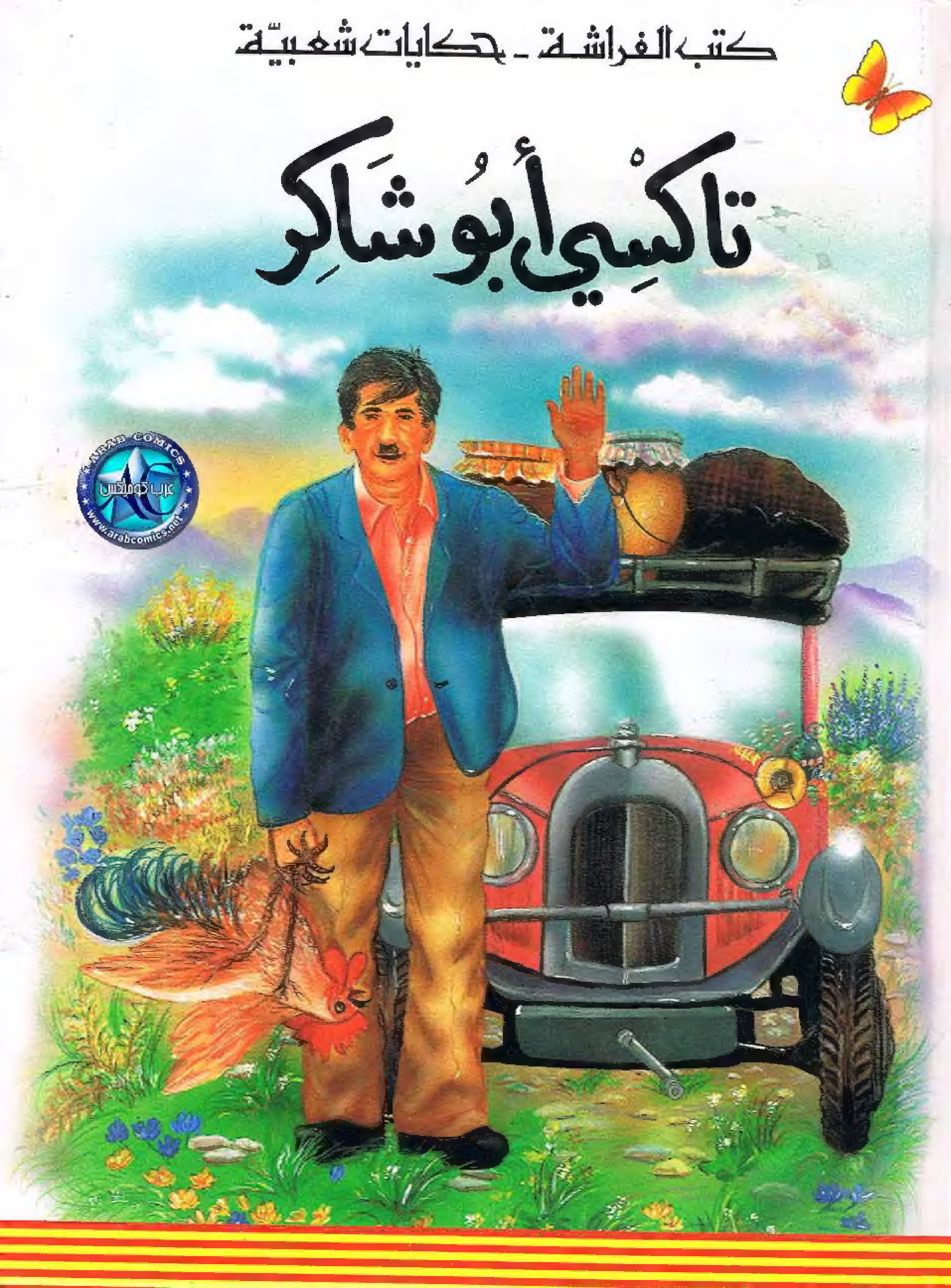

كتب الفراشة - حكايات شعبيّة
تاكسي أبو شاكر
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net

ما هي هٰذه «الحِكايات الشَّعْبِيَّة»؟

إنَّها لَمَحات مِنَ الماضي وصُوَر مِن التُّراث بأساطيره وتَقاليده وعاداته، نَسيناها أو كِدْنا نَنسى مُعظَمها، يُعيد إحياءَها الأديب إميل يوسف عوّاد بقَلَمه الصّادِق الشَفّاف.

مَع هٰذه الحِكايات، يَعود أبناء الجِيل الجَديد إلى جُذورهم الّتي هُمْ عنها غافِلون، فما يَنطبِق على قَرية يَنطبِق على كُلّ القُرى، وما يَحْدث لِفَرْد قد يَحْدث مَثيلُه لِباقي أفراد المُجتمَع.

إنَّها دَعوة لِلرُّجوع إلى الضَّمير والسَّيْر في طَريق الإيمان بِالله ومَحبَّة الإنْسان لِأخيه الإنْسان والارْتِباط بِالطَّبيعة والأَرْض والوَطَن، مِن أَجْل حَياة هانِئة وادِعة بَريئة.

كُلّ ذٰلك بأسلوب رَشيق جَذّاب هو أَبْعَد ما يَكون عن الوَعْظ المُباشِر والعِبارات الطَّنّانة.

كتب الفراشة - حكايات شعبيّة

تاكسي أبو شاكر

إميل يوسف عوّاد



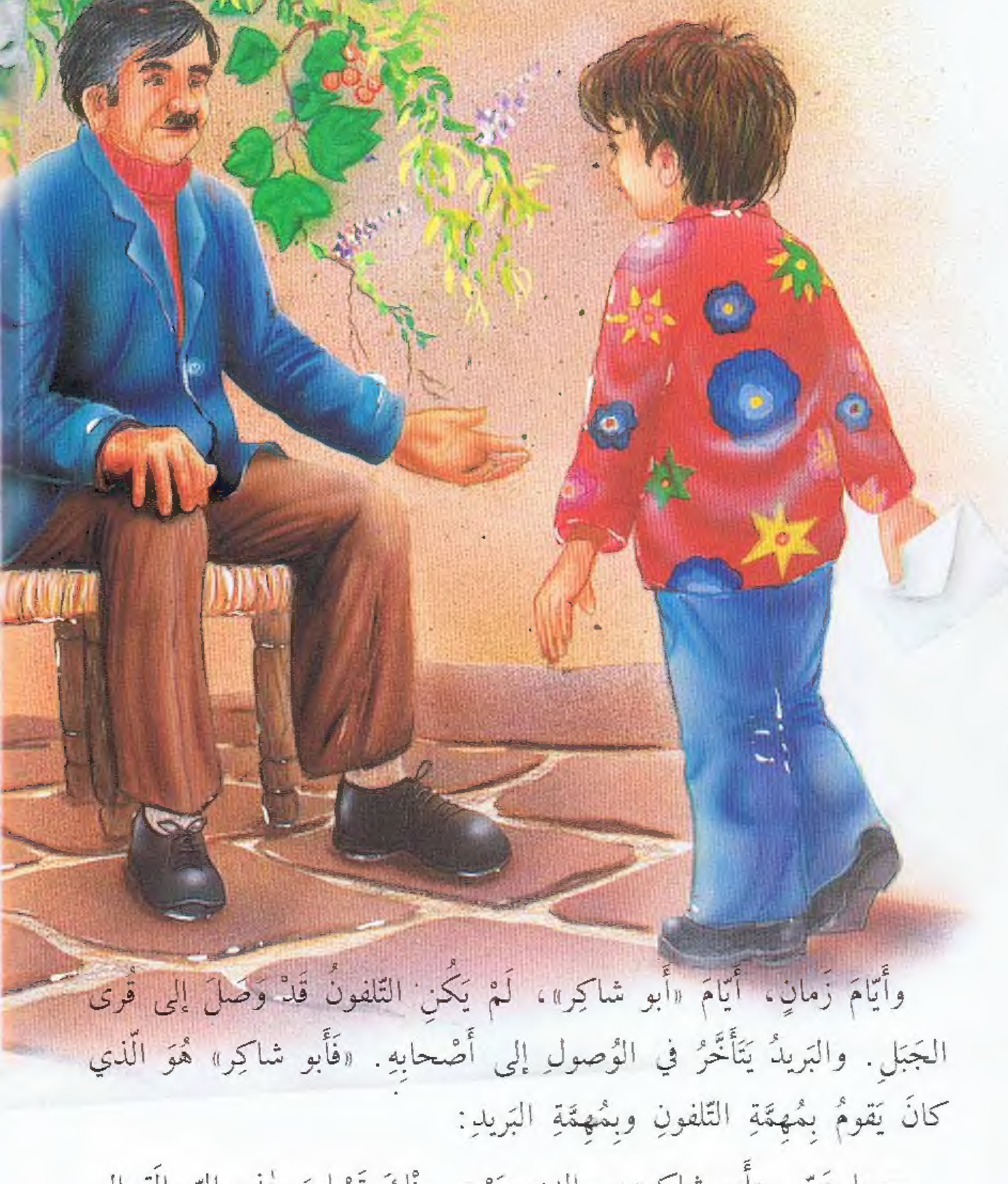
مكتبة لبنان ناشرون

هٰذا زَمّورُ سَيّارَةِ «أَبو شاكِر»: «تابوبوتابو». وهُوَ زَمّورٌ عَلى الهَواءِ مِنَ الكاوتشوكِ بِشَكْلِ بالونٍ مُعَلَّقٍ بِماسورَةٍ مَعْدِنِيَّةٍ. يَضْغَطُ «أَبو شاكِر» عَلَيْهِ كُلَّما مَرَّ في الضَّيْعَةِ، فَيَزْعَقُ الزَّمّورُ بِالصَّوْتِ التّالي: «تابوبوتابو».



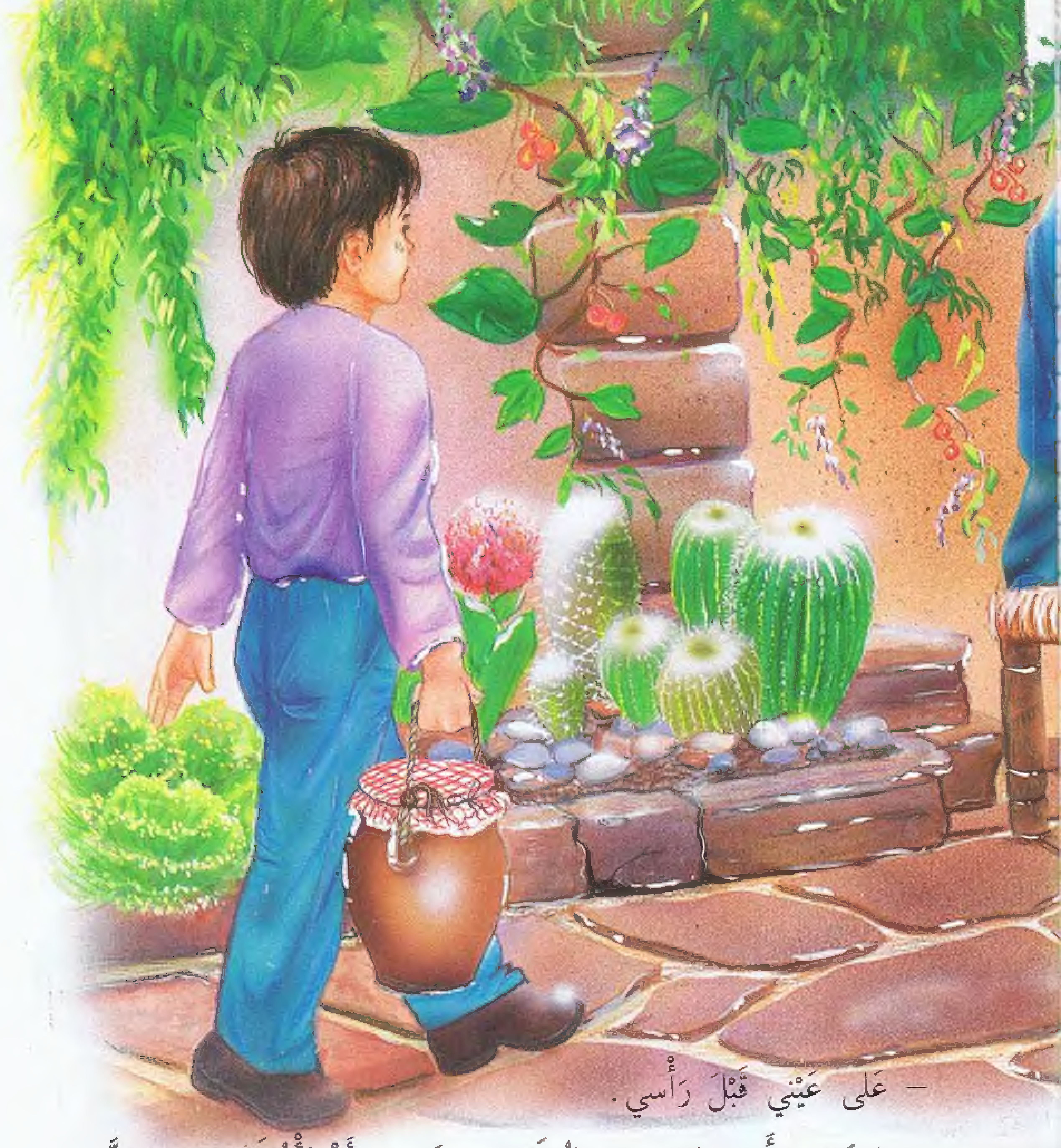


«أَبو شاكِر» سائِقُ تاكْسي، وهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَعَلَّمَ قِيادَةَ السَّيّاراتِ في ضَيْعَتِنا. وكانَتْ سَيّارَتُهُ «الفورْد أَبو دَعْسة» الوَحيدَةَ الَّتي تُؤَمِّنُ المُواصَلاتِ بَيْنَ ضَيْعَتِنا وبَيْروتَ، وبِالعَكْسِ.



وأيّامَ زَمانٍ، أيّامَ «أبو شاكِر»، لَمْ يَكُنِ التّلفونُ قَدْ وَصَلَ إلى قُرى الجَبَلِ. والبَريدُ يَتَأَخَّرُ في الوُصولِ إلى أَصْحابِهِ. «فَأَبو شاكِر» هُوَ الّذي كانَ يَقومُ بِمُهِمَّةِ التّلفونِ وبِمُهِمَّةِ البَريدِ:

– يا عَمّي «أبو شاكِر»، والِدي يَرْجو مِنْكَ تَسْليمَ هٰذِهِ الرِّسالَةِ إلى بَيْتِ عَمّي «رَشيد» في بَيْروتَ.



- عَلى عَيْني قَبْلَ رَأْسي.

- يا عَمّي «أبو شاكِر»، يَقولُ لَكَ «بو نَعّوم» بِأَنْ تَأْخُذَ مَحْلوبَ اللَّبَنِ هٰذا، وتُسَلِّمَهُ إلى بَيْتِ أَخيهِ في أَنْطِلْياسَ، وأَنْ تُعيدَ إلَيْهِ «الفراغة».

- عَلى عَيْني أنْتَ و «بو نَعّوم».

– اللهُ يُوَفِّقُكَ يا «بو شاكِر» ولَوْ أَنَّني أَثْقَلْتُ عَلَيْكَ. الأَيّامُ أَيّامُ بَرْدٍ. هٰذا كيسُ فَحْمٍ لِبَيْتِ الخَواجَه «رَؤوف». ولا أَعْتَقِدُ بِأَنَّهُ سَيُزْعِجُكَ إِنْ أَنْتَ وَضَعْتَهُ في الصُّنْدوقِ.



– ما في إزْعاج أَبَدًا. ثِقْلُه على «العَرَبِيّة».

– الله يعطيكَ العافِيَة يا «بو شاكِر».

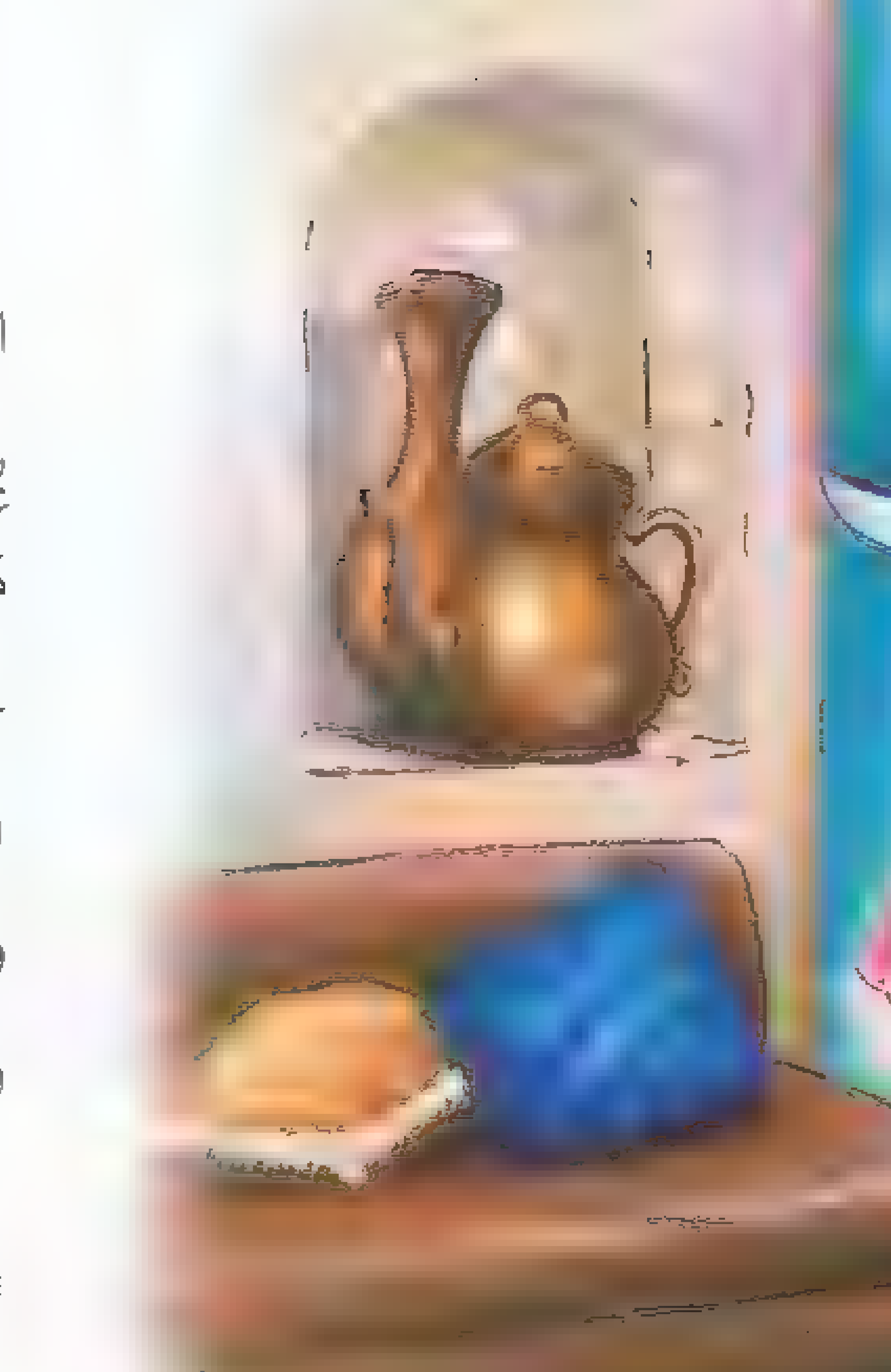
– الله يعافيك.





- لَمْ تَتْرُكْني «أُمّ نَجيب» أَرْتاحُ لَحْظَةً طوالَ هٰذا اللَّيلِ. لَقَدْ وَضَعْتُ «نَجيب» في مَدْرَسَةٍ داخِلِيَّةٍ كَيْ أَرْتاحَ أَنا ويَرْتاحَ هُوَ وتَرْتاحَ أُمُّهُ. ولَقَدِ ارْتَحْتُ أَنا. وارْتاحَ الصَّبِيُّ، ولٰكِنْ «أُمّ نَجيب» لا. فَكُلَّما جَلَسْنا حَوْلَ طاوِلَةِ الطَّعامِ، تَنْحَدِرُ دُموعُ «أُمّ نَجيب»: يقْبرْني «نَجيب» إِنَّهُ يُحِبُّ هٰذِهِ «الأَكْلَة». أَرْجو أَنْ تَعْذِرَني يا «بو شاكِر». واللهُ يَحْفَظُ لَكَ أَوْلادَكَ.

أُكَلِّفُكَ بِهٰذا الصُّنْدوقِ الصَّغيرِ. وفيهِ صِينِيَّةُ كِبَّة بِالفُرْنِ، ومَجْمَعُ تينٍ مَطْبوخٍ، ومَجْمَعُ دِبْسِ عِنَبٍ، ومَجْمَعُ كِشْكٍ. وبَلِّغْ «نَجيب» سَلامي وسَلامَ أُمِّهِ وقُلْ لَهُ هٰذِهِ الأَشياءُ مِنْ أُمِّهِ. وفِكْرُنا - دائِمًا عِنْدَهُ.



- «نَجيب» ابْني. وأَنا أَعْرِفُ قَلْبَ الأُمِّ. ولا تَنْسَ يا «بو نَجيب» أَنَّ الوَلَدَ يَشْتَهي وهُوَ في الغُرْبَةِ ومِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ أَصْنافِ طَعامِ البَيْتِ. وهٰذِهِ الأَشْياءُ الَّتي تُرْسِلُها «أُمّ نَجيب» غَيْرُ مَوْجودَةٍ في المَدْرَسَةِ. سَأَذْهَبُ إِلى المَدْرَسَةِ وسَأُسَلِّمُهُ الأَغْراضَ، وفي المَساءِ أُعْطيكَ مِنْ أَخْبارِهِ. كُنْ مُطْمَئِنًّا. وثِقْ بِأَنَّ «بو شاكِر» دائِمًا في الخِدْمَةِ. والخِدْمَةُ عَلى قَلْبِهِ مِثْلُ العَسَلِ.

- اللهُ يزيد مِنْ أَمْثالِكَ يا «بو شاكِر».

«أَبو شاكِر» لا يَهُمُّهُ جَمْعُ المالِ. يَهُمُّهُ أَنْ يَخْدُمَ النّاسَ. إِنَّهُ يُفَضِّلُ أَنْ يَسْمَعَ كَلِماتِ الشُّكْرِ والدُّعاءِ لَهُ بِطولِ العُمْرِ والعافِيَةِ عَلى قَبْضِ أُجْرَةٍ عَنْ خِدْمَةٍ يَقومُ بِها.



ها هُوَ «أَبو وَليد» يَدُقُّ بابَ «أَبو شاكِر» قَبْلَ طُلوعِ الضَّوْءِ:

– أَهْلًا «أَبو وَليد»، خَيْرٌ إِنْ شاءَ اللهُ.

– خَبَرٌ حُلْوٌ يا «بو شاكِر».

– هاتِ ما عِنْدَكَ.

– أُخْتي «نَزْهَة» وَضَعَتْ صَبِيًّا. أَرْجو أَنْ تَحْمِلَ إِلَيْها هٰذا الدّيكَ. والعادَةُ في القُرى أَنْ تَتَناوَلَ المَرْأَةُ الَّتي تَلِدُ مَرَقَةَ الدّيكِ.





اِنْفَرَجَتْ أَساريرُ «أبو شاكِر» وبَدَتْ عَلَيْهِ عَلاماتُ الفَرَحِ وقالَ:

مَبْروكٌ وأَلْفُ مَبْروكٍ يا «أبو وَليد». عِنادُ صِهْرِكَ كانَ في مَحَلِّهِ. عِنْدَما قُلْتُ لَهُ في السَّنَةِ الماضِيَةِ: «صارَ عِنْدَكَ سِتُّ بَناتٍ. كُلُّ شَيْءٍ جَنَيْتَهُ في حَياتِكَ سَيَذْهَبُ في الهَواءِ». أَجابَني بِغَضَبٍ: «سَتَظَلُّ زَوْجَتي تُنْجِبُ لي. إلى أَنْ يَأْتِيَ الصَّبِيُّ». لَقَدْ جاءَ الصَّبِيُّ. وأَنا مُسْتَعِدٌّ لا لِحَمْلِ الدّيكِ فَحَسْبُ بَلِ



القُنّ وما فيهِ إلى أُخْتِنا «نَزْهَة». الحَمْدُ لِلّٰهِ عَلى سَلامَتِها والرَّبُّ يَحْفَظُهُ لَها.

وتَناوَلَ «أَبو شاكِر» الدِّيكَ، ورَبَطَ رِجْلَيْهِ بِخَيْطٍ مِصّيصٍ وحَمَلَهُ إلى السَّيّارَةِ ووَضَعَهُ في أَرْضِها إلى جانِبِهِ.

وبَعْدَ أَنْ شَرِبَ القَهْوَةَ مَعْ «بو وَليد» اسْتَأْذَنَ بِالانْصِرافِ ونَزَلَ إلى سَيّارَتِهِ وضَغَطَ عَلى زَمّورِها: «تابوبوتابو».



وسَمِعَ أهالي الضَّيْعَةِ زَمّورَ «أَبو شاكِر». وتَساءَلوا: «لَيْسَ مِنْ عادَةِ «أَبو شاكِر» أَنْ يَنْزِلَ إلى بَيْروتَ في هٰذِهِ السّاعَةِ المُبَكِّرَةِ. لا شَكَّ أَنَّ هُناكَ أَمْرًا مُسْتَعْجِلاً».



وها هُوَ يَقْطَعُ طَريقَ القَرْيَةِ ذَهابًا وإيابًا مَرَّتَيْنِ، ويَضْغَطُ على زَمّورِهِ:

«تابويوتابو».



راكِبٌ واحِدٌ فَتَحَ شُبّاكَ بَيْتِهِ ونادى بِأَعْلى صَوْتِهِ:

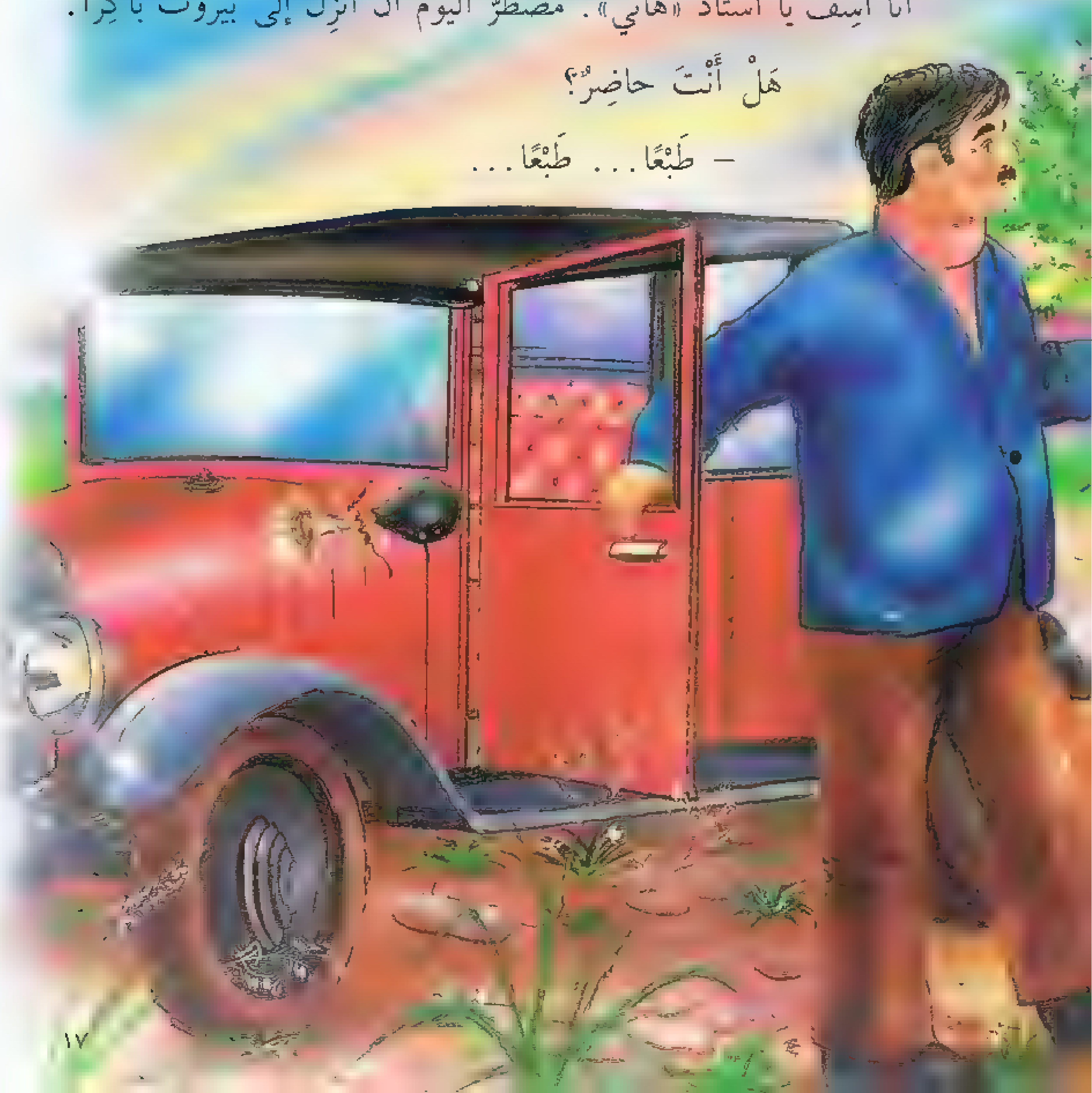
– «أَبو شاكِر».. .. «أَبو شاكِر»...

أَوْقَفَ «أَبو شاكِر» سَيّارَتَهُ وَنَزَلَ مِنْها:

أَنا آسِفٌ يا أُسْتاذُ «هاني». مُضْطَرٌّ اليَوْمَ أَنْ أَنْزِلَ إلى بَيْروتَ باكِرًا.

هَلْ أَنْتَ حاضِرٌ؟

– طَبْعًا... طَبْعًا...



والأُسْتاذُ «هاني» مُعَلِّمٌ في إحْدى مَدارِسِ بَيْروتَ. يَذْهَبُ إلى عَمَلِهِ صَباحًا مَعَ «أَبو شاكِر» ويَعودُ مَساءً مَعَهُ. يَنْتَظِرُهُ على دَرَجِ بَيْتِهِ صَباحَ كُلِّ يَوْمٍ في السّاعَةِ السّابِعَةِ. إنَّما اليَوْمَ كانَ المَوْعِدُ السّاعَةَ الخامِسَةَ والنِّصْفَ. ولا بَأْسَ إذا لَمْ يَشْرَبِ القَهْوَةَ بَعْدُ ولَمْ يُرَتِّبْ هِنْدامَهُ. فَإكْرامًا لِـ«أَبو شاكِر» سَيَشْرَبُ القَهْوَةَ في بَيْروتَ ويُرَتِّبُ هِنْدامَهُ عَلى قَدْرِ المُسْتَطاعِ.





ولَمْ يَكَدِ الأُسْتاذُ «هاني» يُطِلُّ مِنْ بابِ بَيْتِهِ حَتّى أَسْرَعَ «أبو شاكر» لِمُلاقاتِهِ:

– أَهْلًا بِالأُسْتاذِ. أَهْلًا... أَهْلًا...

وتَناوَلَ مِنْ يَدِهِ الحَقيبَةَ الجِلْدِيَّةَ السَّوْداءَ. وفيها الدَّفاتِرُ والكُتُبُ المَدْرَسِيَّةُ. ولَمّا هَمَّ الأُسْتاذُ بِالصُّعودِ إلى السَّيّارَةِ ارْتَبَكَ إذْ وَقَعَ نَظَرُهُ عَلى الدّيكِ.

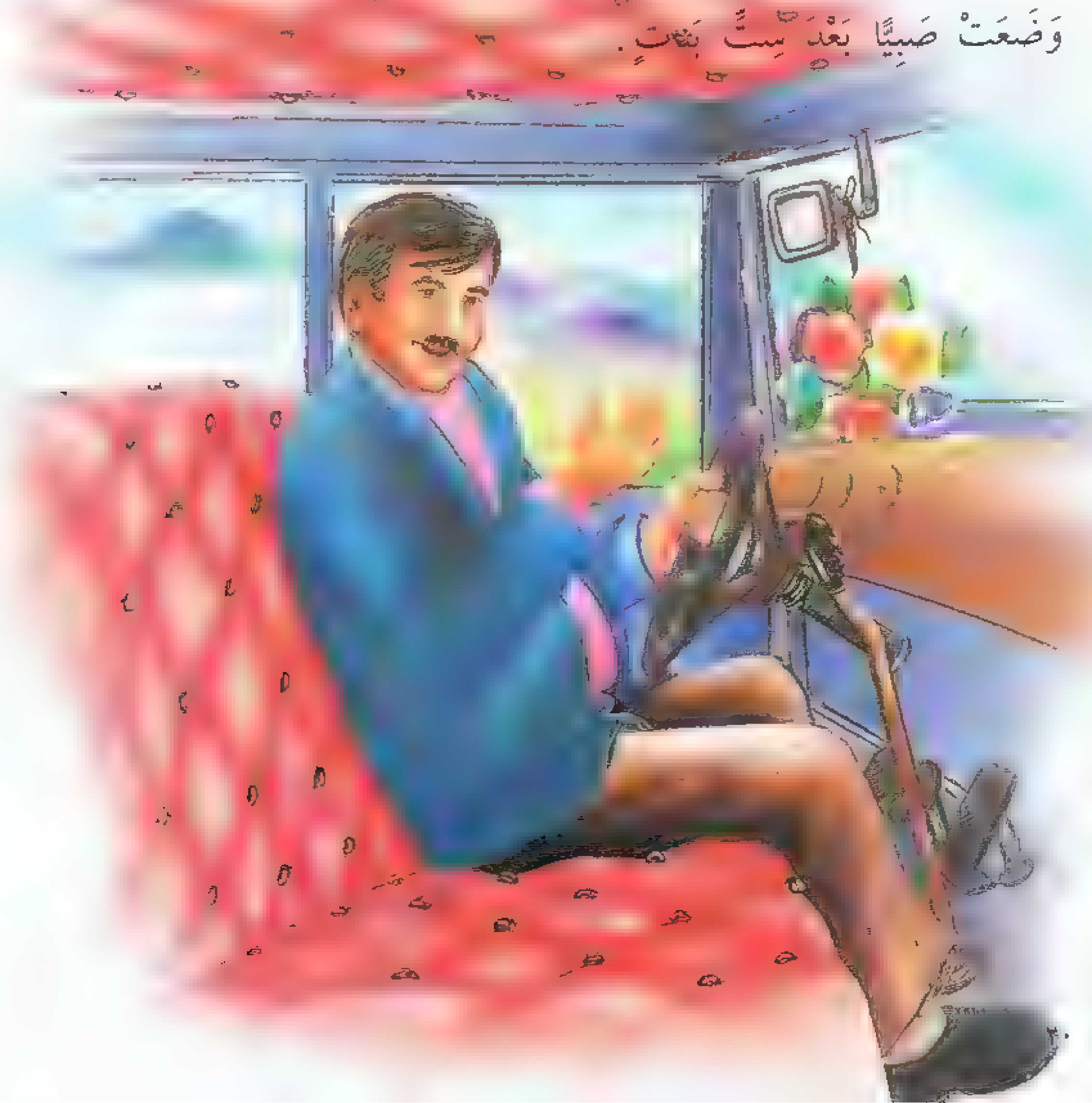
فَبادَرَهُ «أَبو شاكِر» بِالقَوْلِ:

- تَفَضَّلْ... تَفَضَّلْ...

فَأَجابَهُ الأُسْتاذُ:

- والدّيكُ ماذا سَتَفْعَلُ بِهِ؟

- «أَبو وَليد» رَجُلٌ طَيِّبٌ. كَلَّفَني بِإيصالِهِ إلى شَقيقَتِهِ في بَيْروتَ. وقَدْ وَضَعَتْ صَبِيًّا بَعْدَ سِتِّ بَناتٍ.





فَصَعِدَ الأُسْتاذُ إلى السَّيّارَةِ ووَضَعَ الدّيكَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ وقالَ مُبْتَسِمًا:

- إنَّهُ لَخَبَرٌ مُفْرِحٌ.

ثُمَّ أَرْدَفَ: أَلَيْسَ بِالإمْكانِ وَضْعُهُ في الصُّنْدوقِ؟

فَأَجابَهُ «أَبو شاكِر»: أَخافُ أَنْ يَخْتَنِقَ يا أُسْتاذُ.

وسَكَتَ الأُسْتاذُ. وفي الطَّريقِ تَضايَقَ الدِّيكُ مِنَ الرِّباطِ في رِجْلَيْهِ وبَدَأَ يَتمايَلُ شِمالًا ويَمينًا. وكانَ الأُسْتاذُ صَبورًا. فَيُفَرْشِخُ قَدْرَ إمْكانِهِ كُلَّما اقْتَرَبَ الدّيكُ مِنْ إحْدى رِجْلَيْهِ. إلى أَنْ رَأى أَنَّ شَيْئًا يَنْزِلُ مِنْ مُؤَخَّرَةِ الدِّيكِ. عِنْدَئِذٍ لَمْ يَتَمالَكِ الأُسْتاذُ مِنْ تَنْبيهِ «أَبو شاكِر» إلى هٰذا الأَمْرِ:

- الأَوْساخُ... الأَوْساخُ... ثِيابي... ثِيابي... ماذا أَفْعَلُ؟

- لا بَأْسَ... لا بَأْسَ... لَقَدْ وَصَلْنا.





وها هِيَ سَيّارَةُ «أَبو شاكِر» تَتَوَقَّفُ أَمامَ بَيْتِ «السّتّ نَزْهَة» ويَزْعَقُ زَمّورُها: «تابوبوتابو».. «تابوبوتابو...». فَيُطِلُّ زَوْجُ «السّتّ نَزْهَة» وبِأَعْلى صَوْتِهِ يُنادي:

– «أبو شاكِر»! صَبِيّ... صَبِيّ...

ويُجاوِبُهُ «أَبو شاكِر»: – مَبْروكٌ... مَبْروك.

ثُمَّ يَحْمِلُ الدِّيكَ ويُسَلِّمُهُ إلى زَوْجِ «السّتّ نَزْهَة» ويَعودُ إلى السَّيّارَةِ فَيُنَظِّفُها مِنَ الأَوْساخِ ويَعْتَذِرُ مِنَ الأُسْتاذِ.

كَثيرَةٌ هِيَ الخِدْماتُ الَّتي يَقومُ بِها «أبو شاكِر» بِدونِ مُقابِلٍ، وبِطيبَةِ خاطِرٍ وبَشاشَةِ وَجْهٍ.



وكَثيرًا ما كانَ يَدِبُّ الخِلافُ بَيْنَ «أَبو شاكِر» وزَوْجَتِهِ وأَوْلادِهِ،
وخُصوصًا ابْنُهُ الأَكْبَرَ - وهُوَ مِنَ الجيلِ الجَديدِ - ويَحْتَدِمُ النِّقاشُ:



— أَنْتَ رَبُّ عائِلَةٍ. عَلَيْكَ مَسْؤولِيّاتٌ. إِنَّكَ تُضيعُ الوَقْتَ وتُحْرِقُ البنْزِينَ هٰكَذا لِوَجْهِ اللهِ. فُلانٌ صَديقُنا. وفُلانٌ جارُنا. وفُلانٌ زَبونٌ عِنْدَنا. وفُلانَةُ فَقيرَةٌ. وفُلانَةُ مَريضَةٌ. وفُلانَةُ «مَقْطوعَة». ما الفائِدَةُ لِعائِلَتِكَ مِنْ كُلِّ هٰذا؟ إِنَّكَ تَكْتَفي بِسَماعِ الكَلامِ المَعْسولِ. إِنَّهُمْ يَسْتَغِلّونَ قَلْبَكَ الطَّيِّبَ.



ويُجيبُهُمُ الوالِدُ:

– هٰذا شُغْلي. وأَنا في خِدْمَةِ النّاسِ. غَدًا اشْتَغِلوا حَسَبَ ذَوْقِكُمْ ومُرادِكُمْ يا أَوْلادي. أَنا تَزَوَّجْتُ وَبَنَيْتُ بَيْتًا ورَبَّيْتُ عائِلَةً. كُلُّ ذٰلِكَ مِنْ إيرادِ هٰذِهِ السَّيّارَةِ، وبِفَضْلِ خِدْماتي ومَحَبَّةِ النّاسِ لي.



ماتَ «أبو شاكِر» في شَيْخوخَةٍ صالِحَةٍ. وكانَتْ سَيّارَتُهُ العَتيقَةُ مِنْ نَصيبِ وَلَدِهِ الأَكْبَرِ. فَباعَها لِأَنَّها لَمْ تَعُدْ لائِقَةً بِالنِّسْبَةِ إلى باقي سَيّاراتِ التّاكْسي الّتي عَمَّتِ البِلادَ. وكُلُّها فَخْمَةٌ ومُريحَةٌ. وأَرادَ أَنْ يَشْتَرِيَ سَيّارَةً جَديدَةً. لكِنَّ المالَ كانَ يَنْقُصُهُ وعَلَيْهِ إمّا أَنْ يَرْهَنَها أَوْ يَرْهَنَ ما يَمْلِكُ. وبَقِيَ مُتَرَدِّدًا عِدَّةَ أَشْهُرٍ.





ذاتَ لَيْلَةٍ إذا بِبابِ بَيْتِ المَرْحومِ «أَبو شاكِر» يُدَقُّ. فَقامَ «شاكِر» وفَتَحَ البابَ. وإذا بِأَحَدِ زَبائِنِ والِدِهِ القَديمينَ وقَدْ عادَ مِنَ المَهْجَرِ بَعْدَ أَنْ جَمَعَ ثَرْوَةً لا بَأْسَ بِها.



فوجِئَ «شاكِر» بِهٰذِهِ الزِّيارَةِ ورَحَّبَ بالزّائِرِ. وكَالعادَةِ بُدِئَ الحَديثُ بِالسُّؤالِ عَنِ الصِّحَّةِ والأَشْغالِ. وأَحاطَتِ العائِلَةُ بِالزّائِرِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وعَلاماتُ الاسْتِفْهامِ عَلى وُجوهِ الجَميعِ.

ولَمْ يَطُلِ الأَمْرُ حَتّى انْتَحى الزّائِرُ «بِشاكِر» في زاوِيَةٍ وأَخَذَ يَتَكَلَّمُ هَمْسًا:

– اللهُ يرْحَم والِدَكَ. كُنْتُ لا أَرْكَبُ إلّا سَيّارَتَهُ. والِدُكَ رَجُلٌ طَيِّبٌ. وأَنا مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّ الضَّيْعَةَ كُلَّها بَكَتْهُ وحَزِنَتْ عَلَيْهِ كَما بَكَيْتُهُ وحَزِنْتُ عَلَيْهِ. يا «شاكِر»، عَلِمْتُ مِنَ الجيرانِ أَنَّكَ بِعْتَ سَيّارَةَ والِدِكَ ومُرادُكَ شِراءُ سَيّارَةٍ جَديدَةٍ، لٰكِنَّ المالَ يَنْقُصُكَ. والِدُكَ فَضْلُهُ كَبيرٌ عَلَيَّ. أَنا مُسْتَعِدٌّ أَنْ أُعْطِيَكَ المالَ الّذي تَحْتاجُهُ. وتُعيدُهُ إلَيَّ عِنْدَما يَتَيَسَّرُ لَكَ ذٰلِكَ وبِدونِ فائِدَةٍ.





فَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنا «شاكِر» بِالدُّموعِ ونَظَرَ إلى صورَةِ المَرْحومِ والِدِهِ المُعَلَّقَةِ في الحائِطِ وخاطَبَها:

– اللهُ يرْحَم تُرابَكَ يا والِدي. وأُقْسِمُ لَكَ بِأَنّي سَأَكونُ مِثْلَما كُنْتَ أَنْتَ، وسَأَخْدُمُ النّاسَ مِثْلَما خَدَمْتَهُمْ أَنْتَ. سامِحْني يا والِدي... سامِحْني.

كتب الفراشة - حكايات شعبيّة

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل.
زقاق البلاط - ص.ب : ٩٢٣٢-١١
بيروت ، لبنان

الطبعة الأولى ، ١٩٩٦
طبع في لبنان
رقم الكتاب 01C193101

كتب الفراشة

حكايات شعبيّة ١٠. تاكسي أبو شاكر

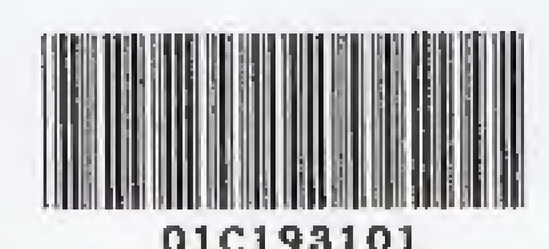
أبو شاكِر يَملك سَيّارة «فورد-أبو دعسة» زَمّورها يَقول: «تابوبو تابو».

كانَت الوَسيلةَ الوَحيدة لِلمُواصَلات بين القَرْية والمَدينة!

أبو شاكِر يَنقُل أيضًا الرَّسائِل والأخبار والأغْراض ويَكْتفي بِتَلقّي عِبارات الشُّكْر والدُّعاء بِطول العُمْر.

تَغَيَّرَت الأيّام، وعَمَّت السَّياراتُ الحَديثة البِلادَ. فَماذا حَدَث لِهٰذه السَّيّارة القَديمة ولِأَصْحابها؟





مَكتبة لبنان ناشِرون